

الخطبة المبررة

رَوْحُوا الْقُلُوبَ وَأَحْذَرُوا الذُّنُوبَ

مَنْقُولٌ مِنَ التَّحْقِيقِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِهِ وَلِأُمَّتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] آل

عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ: مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ!

اتَّقُوا رَبَّكُمْ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ؛ فَإِنَّ تَقْوَاهِ هِيَ سِرُّ عِزِّكُمْ وَفَلَاحِكُمْ فِي أَوْلَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ أحوَالَ نُفُوسِنَا: أَنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ، وَأَنَّ الْأَبْدَانَ تَكَلُّ؛ فهي مُحتَاجَةٌ إلى رَاحَةٍ تستعيدُ بها قُوَّتَهَا، وَفُسْحَةٍ تَعْرِفُ بِهَا كَيْفِيَّةَ نَشَاطِهَا وَفُورَتِهَا.

وذلكم من جملة ما كتبه الله علينا في حقوق أنفسنا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»** ^(١).

فينبغي للمرء أَنْ يَتَفَطَّنَ لِنَفْسِهِ، فَإِذَا رَأَاهَا كَلَّتْ وَمَلَّتْ عَالَجَ كَلَلَهَا وَمَلَلَهَا بِمَا يَسْتَعِيدُ بِهِ نَشَاطَهَا وَقُوَّتَهَا.

وَمِنْ جَمَلَةٍ مَا يَنْدَرُجُ فِي ذَلِكَ وَفَقْ أَصُولُ الشَّرِيعَةِ: الْإِجَازَاتُ الْعِلْمِيَّةُ أَوْ الْعَمَلِيَّةُ، الَّتِي تَكُونُ لِلطَّلَبَةِ أَوْ لِلْمَوْظِفِّينَ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ جَمَلَةٍ حَقِّ النَّفْسِ.

وَتِلْكَ الْإِجَازَةُ الَّتِي يَتَّخِذُهَا أَحَدُنَا لِنَفْسِهِ أَوْ تُجَعَّلُ لَهُ هِيَ مِنْ جَمَلَةِ إِصْلَاحِ الشَّرِيعَةِ لِلنُّفُوسِ، وَسِيَاسَتِهَا بِمَا يُقَوِّيْهَا وَيَحْفَظُ نَشَاطَهَا.

فينبغي للمرء أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ هَذِهِ حَاجَةُ نَفْسِيَّةٌ، وَأَنَّ بِهَا قَوَامَ حَالِهِ فِي صَلَاحِ

(١) أخرجه أبو داود (١٣٦٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أَمْرِهِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِ الْأَوَائِلِ مَا يُنَبِّهُ إِلَى ذَلِكَ؛ ابْتِدَاءً
مِنْ خَبَرِ الشَّرِيعَةِ، وَانْتِهَاءً بِأَخْبَارِ الْعُلَمَاءِ الْفُطَنَاءِ.

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا يَنْدَرِجُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ:

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَنْظَلَةُ؛ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» ^(٢).

وَقَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ».

وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَوْحُوا عَنِ الْقُلُوبِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ».

وَقَوْلُ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَوْحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً وَسَاعَةً».

فَذَلِكَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْآثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ: تُعَرِّفُنَا بِحَاجَةِ نَفُوسِنَا إِلَى إِرَاحَتِهَا.

وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ بِمَا يَكُونُ عَوْنًا لَهَا.

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَنْظَلَةُ؛ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ»؛ أَيُّ سَاعَةٍ تَكُونُ فِيهَا قَائِمًا
بِحَقِّ رَبِّكَ، وَسَاعَةٍ تَكُونُ قَائِمًا فِيهَا بِحَقِّ غَيْرِهِ.

وَمِنْ جُمْلَةٍ حَقِّ غَيْرِهِ: حَقُّ النَّفْسِ عَلَى أَحَدِنَا. وَمِنْ جُمْلَةٍ حَقِّهَا: أَنْ يُرِيحَهَا
الْعَبْدُ.

وَلَا تَحْصُلْ إِرَاحَتُهَا إِلَّا بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فِإِرَاحَةُ النَّفْسِ إِذَا مَا أَنْ

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٥٠)، مِنْ حَدِيثِ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تكون بأنواع البرِّ والطَّاعات، وإِمَّا أَنْ تكون بأصناف المُباحات، وأَمَّا المُحرَّمات: فَإِنَّهَا عَذَابٌ لِلْقَلْبِ وَالنَّفْسِ.

فليس قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَنْظَلَةُ؛ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» إِذْنًا بِاتِّخَاذِ المُحرَّمات كما تُتَّخَذُ المُباحات، كَلَّا. وَإِنَّمَا معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ»؛ أي ساعة تقوم بها بحَقِّ رَبِّكَ، وساعة تقوم بها بحَقِّ غيره. ومن جملة ذلك: حَقُّ نَفْسِكَ؛ الَّذِي يندرج فيه: إِرَاحَتُهَا بِكُلِّ شَيْءٍ يُقَوِّيْهَا.

وهذا هو المعنى الَّذِي ذَكَرَهُ مَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي إِرَاحَتُهَا.

وَلَا تَتَحَقَّقْ إِرَاحَتُهَا إِلَّا بِطَاعَةٍ مَفْعُولَةٍ، أَوْ مُبَاحٍ يُسْتَمْتَعُ بِهِ.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يُرَوِّحَ عَنْ نَفْسِهِ فَإِمَّا أَنْ يُشْغِلَهَا بِطَاعَةٍ كَانَ يُمْنَعُ مِنْهَا، وَإِمَّا أَنْ يُعْمِلَهَا فِي مُبَاحٍ تَتَقَوَّى بِهِ؛ فَتَكُونُ الْإِجَازَاتُ فُرْصَةً لِعَمَلِ أَنْوَاعٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، أَوْ تَكْثِيرِ قُدْرَاتِ الْعَبْدِ وَمَهَارَاتِهِ؛ فَتَرْجِعُ عَلَيْهِ بِمَا يَكُونُ صَلاَحَ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربنا، رب السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم، وأشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود حق سواه، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله ومُصطفاه.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما
باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.
أما بعد:

أيها المؤمنون!

إِنَّ الإِجَازَةَ الَّتِي يَظْفَرُ بِهَا أَحَدُنَا - طَالِبًا مُتَعَلِّمًا، أَوْ عَامِلًا مُوَظَّفًا - هِيَ
نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٣)؛ فَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا: أَنَّ الْفَرَاغَ
نِعْمَةٌ، ثُمَّ بَيْنَ ثَانِيًا: أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ يَلْحَقُ الْغَبْنُ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٢)، من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَنْدَمُونَ عَلَى مَا أُوتُوا مِنَ الْفَرَاغِ: كَيْفَ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ.

فَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ ذَلِكَ؛ حَمَلَهُ عَلَى أَنْ يَغْتَنِمَ فَرَاغَهُ الَّذِي يَكُونُ فِي إِجَازَتِهِ؛ إِمَّا فِي طَاعَةٍ يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِمَّا فِي نَوْعٍ مِنَ الْمَبَاحَاتِ يُعِينُهُ عَلَى تِلْكَ الطَّاعَاتِ.

وَيُقَوِّي هَذِهِ الْيَقِظَةَ فِي الْقُلُوبِ: كَوْنُ الْعَبْدِ مَسْئُولًا عَنْ عُمْرِهِ كُلِّهِ.

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ»، ثُمَّ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ: «عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ» (٤).

فَتِلْكَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي الَّتِي يَفُوزُ فِيهَا أَحَدُنَا بِسَعَةٍ مِنْ وَقْتِهِ فِي إِجَازَتِهِ، سَيَكُونُ عَنْهَا مَسْئُولًا كَسْؤَالِهِ عَنْ بَقِيَّةِ عُمْرِهِ، وَسَيَكُونُ فِيهَا السُّؤَالُ أَعْظَمُ؛ لِمَا تَمَتَّعَ فِيهَا الْعَبْدُ فِيهِ مِنَ الْفَرَاغِ الَّذِي يُقَدِّرُهُ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، أَوْ تِلْكَ الْمَبَاحَاتِ الَّتِي تُقَوِّيهِ عُبودِيَّةً لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَانْتَبَهُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى عَظِيمِ مَقْصَدِ الشَّرِيعَةِ فِي إِصْلَاحِ النُّفُوسِ بِإِرَاحَتِهَا، وَأَنَّ إِرَاحَتَهَا تَكُونُ بِالطَّاعَاتِ أَوْ أَنْوَاعِ الْمَبَاحَاتِ، وَلَيْسَتْ مَرْتَعًا

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَخِيَمًا لِلْمُحَرَّمَاتِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ سَيُسْأَلُ عَنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَفْنَاهَا وَأَبْلَاهَا.

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا فِي حَقِّ مَنْ يَقُومُ عَلَى الْأَبْنَاءِ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»^(٥).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - آبَاءً وَأُمَّهَاتٍ، وَأَبْنَاءً وَبَنَاتٍ، وَاسْتَخِذُوا أَنْفُسَكُمْ فِيمَا تُؤْتُونَ مِنْ فَرَاغٍ أَوْقَاتِكُمْ فِي إِجَازَاتِكُمْ فِي طَاعَاتٍ تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، أَوْ فِي مُبَاحَاتٍ تُعِيدُ لَكُمْ قُوتَكُمْ وَنَشَاطَكُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ نِعْمَةٌ، وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ، وَيُشَدَّدُ عَلَيْهِ فِيهَا إِذَا اسْتَعْمَلَهَا فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.
اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ.

(٥) أخرجه البخاري (٨٩٣، ٢٤٠٩، ٢٥٥٨، ٢٧٥١)، ومسلم (١٨٢٩).

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.
 اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.
 اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفْسَ هَمُومِ الْمَهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ
 الْمَدِينِينَ، وَاشْفِ مَرَضَنَا وَمَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ.
 اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَأَيِّدْهُ بِتَأْيِيدِكَ، وَارْزُقْهُ الْبَطَانَةَ الصَّالِحَةَ
 النَّاصِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ.

